ثم تتوهج هذه العلاقة وتأخذ مداليل رمزية بالغة الشفافية ، لا سيما في مجموعة **العصافير تموت في الجليل** فعبد الله يخرج من قبره ، يدخل نافذة الشاعر ويجمعه بالانبياء ، وعبدالله يعود فيمتد في الارض باحثا عن ليلى متوحدا بالظهيرة والظل والسمرة . عبدالله ، الميت ، الممتد بالارض ، يخرج من الارض ، ليفاجئنا بشرطة الوالي التي تنتشر في كل مكان ، انه جزء لا يتجزأ من الارض . وعندما يغني الشاعر على قيثارة اليونان ، فان سجنه لا يمنعه من الالتحام بعشب الحديقة :

« ثلثي قابع في السجن
والثلثان في عشب الحديقة »

وهو حين يتمثل بلاده يعيد تركيب فصول الطبيعة حيث تصير « العصافير زرقاء » « والارض عيد » وهو لا يبحث سوى عن « اسباب موت جديد » الخروج من الارض والدخول اليها مجددا من بوابة الموت . محاورة الارض . والتكون فيها . والحبيبة عند درويش لم تعد امرأة . الارض تأخذ جميع ملامح المرأة ، ويتداخل الاثنان في جدلية ابدية تغذيها ، جميع اصناف القمع والاضطهاد ، وتحرسها الجذور المقتلعة من تراب الوطن. ان لغة الايحاء الدرويشية ، تطغي على كل شيء ، عند التكون حول الارض . فشعر الارض المحتلة ، يأخذ تشكيله الخاص ، ويكتشف مساهمته الخاصة ، فاذا كان الشعر العربي يصير مع البياتي تغلغلا الى دواخل الواقع الاجتماعي ، ومع ادونيس حوارا صعبا مع اللغة المتفجرة والاشكال الجديدة ، ومحاولة الوصول الى مضامين شمولية فانه مع محمود درويش يصير تكوما حول رحم الارض . استشرافا لهذا الرحم ، دخولا اليه وولادة منه . والقصيدة تتحول الى ميلاد للارض في الشاعر . واذا كان سميح القاسم ينسج على الخطابية والتحريض ، ويتعامل مع الارض كموضوع للرؤيا وللتحريض ، فان محمود درويش يذوب صوته في الارض وينسحق بها .

٢ ــ الشعر الفلسطيني في المنفى

أ ــ في الوقت الذي كانت فيه فدوى طوقان ، لا ترى العالم ، الا من خلال الحجاب القسري المفروض على المرأة الشرقية ، محيلة العالم ، الى ميدان واسع تسقط فيها اوهامها الشخصية عبر رومانسية خارجية تقف عند حدود العالم ، كان معين بسيسو يحاول من خلال المنفى ، ووسط ابواق الشعارات الخادعة ، أن يجد لنفسه طريقا الى وطنه ، ممتدا في الواقع ، مستعيرا اللهجة الشعرية الواقعية ، ومحاولا ان يرى المأساة بعينين مشدودتين الى الاسلاك الشائكة . الواقع ان بسيسو يحاول تمثل تجربة وطنه بدافع الدخول الى حضرة المأساة ، ومحاولة استنطاقها ومكاشفتها . هذا الدخول ، يؤدي بالشاعر عبر مجموعتين **فلسطين في القلب** و **الاشجار تموت واقفة** ، الى الوقوف امام بوابة الوطن ، دون الدخول الى الأعماق ، حيث يختلط الوطن بانهار الدم والغضب .

فهو يأتي مزودا بكل النوايا المأساوية ، يريد الدخول :

« ادخلني في تجربة القلب
جرعني كاس الصلب
لن اهرب من دربي
لن اهرب من كاس الخل »

وهو يعلم ان « جرح البركان لا يضمده سوى نار البركان » ، لكنه فجأة يجد نفسه عند ما يريد الدخول محاصرا ، ولا يستطيع التحرك :

« ايه يا قافلة السبي